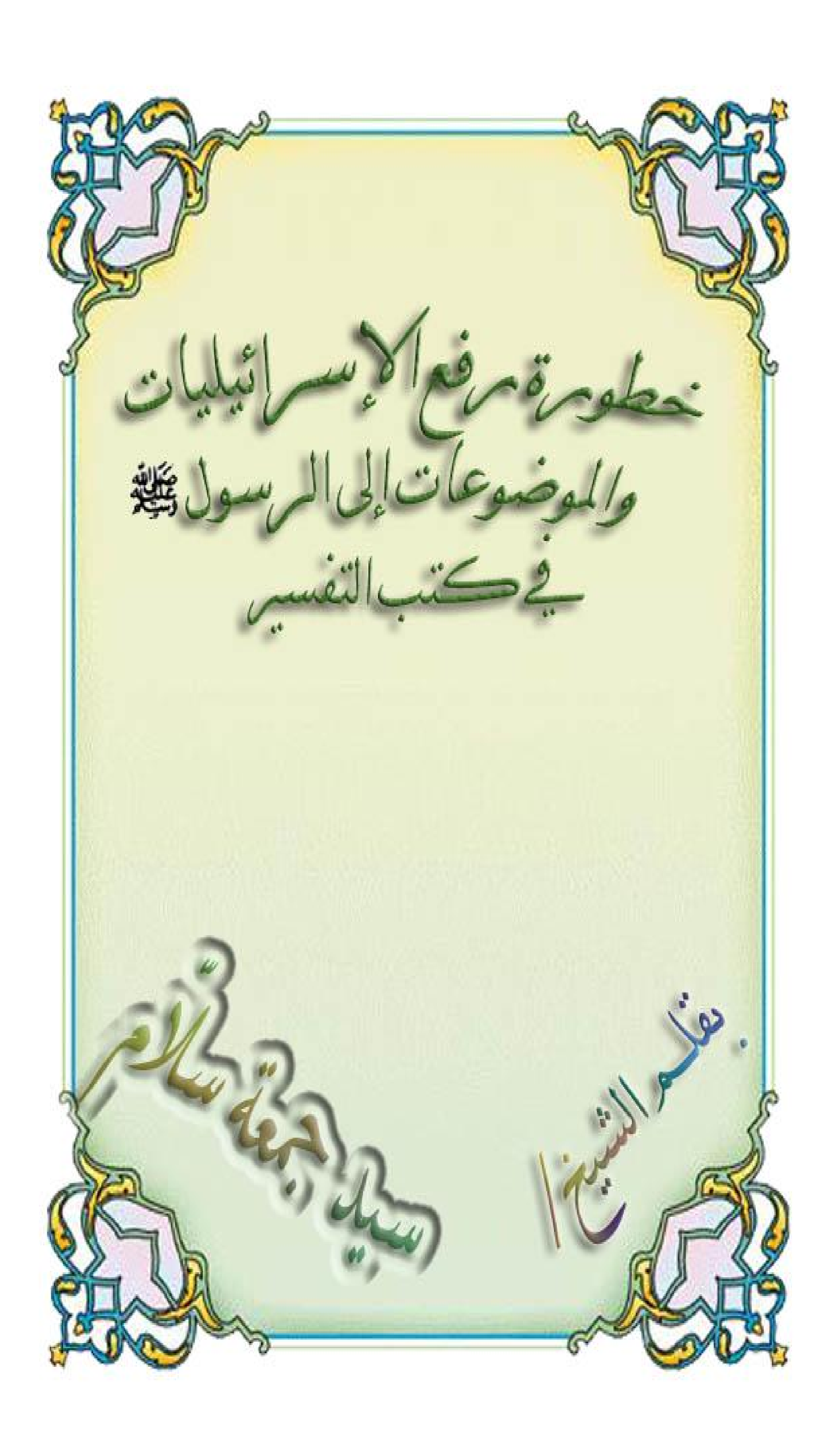

خطورة رفع الإسرائيليات
والموضوعات إلى الرسول ﷺ
في كتب التفسير
بقلم الشيخ /
سيد جمعة سلام

الجامعة الأمريكية العالمية
بأميريكا

إسم المادة : الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير

أستاذ المادة: الأستاذ الدكتور /
الحسين بن محمد شواط

مُقدِمُه: الشيخ /
سيد جمعه سلاّم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووفقنا للإيمان. وما كنا لنؤمن لولا أن شرح صدورنا له، و أحيا قلوبنا بالقرآن العظيم، فجعل منه شفاءً ورحمة للمؤمنين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ النبي الأمي الأمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فاللهم اجزه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته، ورضي الله عن آله وأصحابه، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اخترت الحديث في هذا البحث الموسوم بـ: **خطورة رفع الإسرائيليات و الموضوعات إلى الرسول ﷺ في كتب التفسير**؛ فإن كتب التفاسير قد امتلأت بهذه القصص والخرافات، بشكل أصبح يمثل عبئاً على طلبة العلم الشرعي، فضلاً عن راغبي دراسة تفسير القرآن، وبدأت في دراسة أسباب ورود هذه الإسرائيليات ، وأسباب ورودها عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة"[1] ويشهد للحديث قوله تعالى في اليهود وغيرهم : {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ{78} فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ{79}[2] وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يا معشر المسلمين ! كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب . وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا ، فكتبوا بأيديهم [فـ] قالوا هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً؟ ! أوَ لا ينهاكم

[1] حديث حسن
[2] البقرة

ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟! فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم ! [3]

إن القساوسة و المستشرقون قد وجدوا في الإسرائيليات، والأشياء التي اختلقوها ما يشبع هواهم، ويرضي تعصبهم الممقوت، ويشفي صدورهم المريضة الحاقدة على الإسلام والمسلمين والنبي صلى والقرآن فوضعوا كثير من الأحاديث واختلقوا الأكاذيب وزوروا في القصص الإسلامي مثل قصة زواج الرسول ﷺ بزينب بنت جحش، وقصة الغرانيق، وكل هذا من صنع زنادقة اليهود والفرس والمبشرون، وللأسف الشديد نجد في أمتنا أن بعض المتعلمين والمثقفين-ثقافة غير إسلامية-قد رددوا ما قال هؤلاء الزنادقة في تفسير القرآن و القصص القرآني، ويظنون أنهم قمم في العلم وهم يفترون على الله الكذب وينسبون هذا لرسول الله ﷺ، وكل هذه الطعون والإسرائيليات من أعداء الإسلام على الإسلام وأبنائه؛ حتى يشككون في ديننا ويضعفوا ثقتنا بكتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد أتيت ببعض هذه الأمثلة و فندت كلام أهل العلم حتى يتبين للقاري الغث من السمين ، الصواب من الخطأ {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[4] .

وقد نهجت في هذا البحث المنهج الآتي:

- في الفصل الأول: تحدثت فيه عن الإسرائيليات وأسباب وضعها، وخطورتها على الإسلام والمسلمين.

وكذلك عن بعض الصور الخاطئة في كتب التفاسير، وأسباب التلون فيها، ولم أنس أن أنوه عن الطرق التي يجب أن يتبعها المفسر حتى لا يقع في مثل هذه الأخطاء.

[3] حديث صحيح أخرجه البخاري وغيره
[4] الإسراء81

- في الفصل الثاني: أوردت بعض كتب التفسير بالمأثور، وأهمها –وهو كتاب بن كثير– وكان لابد من ذكر ترجمته، منهجه في التفسير.
  وبعد ذلك أوردت بعضاً من الأمثلة الشهيرة للإسرائيليات و الموضوعات التي وضعوها في كتب التفسير، وأجروها على لسان الصحابة مرفوعةً إلى نبي الله ﷺ ، فكان من هذه الأمثلة:
- الشبه التي وردت عن آدم وحواء
- الشبه التي نسجت حول نبي الله يوسف عليه السلام
- الشبه التي دارت حول نبي الله داود عليه السلام
- الشبه التي دارت حول نبي الله أيوب عليه السلام
- وكان بعد ذكر الشبه، تفنيدها وما ذكره بن كثير –رحمه الله– فيها ورده عليها.

بقلم الشيخ/

سيد جمعة سلاّم

الفصل الأول

المبحث الأول:

خطورة رفع الإسرائيليات إلى رسول الله ﷺ

- المطلب الأول: أسباب الوضع، وروايات الإسرائيليات
- المطلب الثاني: الموقوف من الإسرائيليات على الصحابة والتابعين
- المطلب الثالث: الروايات في الإسرائيليات التي قد يصح السند عنها

المبحث الثاني :

تلون كتب التفاسير بثقافة مؤلفيها

المبحث الثالث:

تفسيرات المبتدعة والباطنية والملحدة

المبحث الرابع:

المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم

- المطلب الأول: أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسِر للمفسَر
- المطلب الثاني:أن يعني بأسباب النزول
- المطلب الثالث:أن يعنى بذكر المناسبات بين الآيات
- المطلب الرابع: أن يجرد نفسه من الميل لمذهب بعينه
- المطلب الخامس:مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي

- **المطلب السادس:مراعاة تأليف لكلام والغرض الذي سيق له**
- **المطلب السابع: يجب عليه البداءة بما يتعلق بالمفردات وتحقيق معانيها**
- **المطلب الثامن: التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة**



الفصل الأول

المبحث الأول:

خطورة رفع الإسرائيليات إلى رسول الله ﷺ

- المطلب الأول

أسباب الوضع، وروايات الإسرائيليات

إن بعض الزنادقة، وضعاف الإيمان قد رفعوا الإسرائيليات إلى رسول الله ﷺ ونسبوها إليه صراحة، وهذا يكون ضرر فاحش وجناية كبرى على الإسلام، وأيضاً يكون تجني على النبي ﷺ ، فإن نسبة الخطأ أو الكذب إلى الراوي أياً كان أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي ﷺ ، والإسرائيليات قد اشتملت على بعض الخرافات والأباطيل لتصد أي إنسان مهما بلغ من التسامح في هذا العصر الذي نعيش عن الدخول في الإسلام ويحمل للإسلام نظرة الشك والارتياب؛ ولهذا قد طعن المبشرون والمستشرقون في النبي ﷺ، وفي الإسلام من هذا الباب، ولأنهم وجدوا فيها ما يساعدهم على ما نصّبوا أنفسهم له وللطعن في الإسلام إرضاءً لصليبيتهم التي رضعوها في ألبان أمهاتهم، هذه الخرافات مهما بلغ إسنادها من السلامة من الطعن فيه، لا نشك في

تبرئة ساحته ﷺ عنها حيث قال تعالى عنه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{4}}[5].

- المطلب الثاني:

الموقوف من الإسرائيليات على الصحابة والتابعين

ولو أن هذه الإسرائيليات جاءت مروية صراحةً عن كعب الأحبار، أو وهب بن منبه، أو عبد الله بن سلام، أو عن أمثالهم ممن دخلوا في الإسلام ، لدلت بعزوها إليهم أنها مما حملوه وتلقوه من كتبهم، ومن رؤسائهم قبل إسلامهم، ثم لم يزالوا يذكرونها بعد إسلامهم وأنها ليست مما تلقوه عن النبيﷺ أو الصحابة، ولكن لا أقول بعض الإسرائيليات- بل كثير منها- جاء موقوفاً على النبي ﷺ ومنسوب إليه، فيظن من هو ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة من النبي ﷺ ؛ لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها، فلها حكم المرفوع إلى النبيﷺ، وإن لم تكن مرفوعة صراحةً، وقد كان أئمة علم أصول الحديث والرواية أبعد نظراً وأوسع إطلاعاً، وأدق في التقعيد لقواعد النقد في الرواية، حينما قالوا إن الموقوف عن الصحابة يكون له حكم المرفوع إلى النبي بشرطين:

الأول: أن يكون مما لا مجال للرأي فيه.

الثاني: أن لا يكون رواية معروفة بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا برواية الإسرائيليات، ومن ثم يجد الباحث الحصيف المنصف

---

[5] النجم

مخارج لهذه الروايات الموقوفة على الصحابة، وهي في نفسها مكذوبة وباطلة؛ فهي إما:

- إسرائيليات أخذها بعض الصحابة الذين رووها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، ورووها ليُعلَم ما فيها من الغرائب والعجائب، ولكن لم يتنبهوا على الكذب والبطلان اعتماداً على ظهور هذا الكذب عنها.

- و إما أن تكون مدسوسة على الصحابة وضعها عليهم الزنادقة والملحدين كي يظهروا الإسلام بالمظهر المنتقد المشين، وأما ما قد يحتمل الصدق والكذب ويكون لا يوافق لا عقلاً سليماً ونقلاً صحيحاً، فذكروه من الإذن لهم في الرواية فيقول النبي ﷺ: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" [6] وهذا النوع أقل خطراً من الأول.

- وكذلك جاء الكثير جداً من الإسرائيليات عن طريق التابعين، واحتمال أخذها عن أهل الكتاب الذين أسلموا أكثر من احتمال أخذها عن الصحابة، فمنشأها حقيقة -كما ذكرت آنفاً- هو: التوراة و شروحها، والتلمود وحواشيه، وما تلقوه عن أحبارهم ورؤسائهم الذين افتروا وحرفوا وبدلوا، ورواتها الأُوَل هم: كعب الأحبار ، و وهب بن منبه، وأمثالهما، والنبي ﷺ والصحابة بريئون من هذا.

- وقد يكون بعضها مما ألصق بالتابعين، وقد نسب إليهم زوراً، ولاسيما وأن هذه الأسانيد معظمها لا تخلو من الضعيف، والمجهول، أو من يتهم بالكذب، أو الوضع أو معروف بالزندقة،أو المغمور في دينة أو عقيدته.

---

[6] صحيح الترمذي 2819، وأخرجه البخاري

- المطلب الثالث:

الروايات في الإسرائيليات التي قد يصح السند عنها

لعل قائل يقول: أما ذكرت من قبل أن الإسرائيليات تكون موضوعة على بعض الصحابة والتابعين-فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعف، أو راوٍ يتهم بالكذب أو سيء الحفظ، ولا يميز- ولكن بعض هذه المرويات قد حكم عليها بعض حفاظ الحديث بأنها صحيحة السند أو حسنة السند وغير ذلك، فما تقول فيه؟

الجواب: أنه لا منافاة بين كونها ثابتة أو حسنة أو صحيحة السند، وبين كونها من مرويات بني إسرائيل وخرافاتهم وأكاذيبهم؛ فهي صحيحة السند إلى ابن عباس، أو عبد الله بن عمرو بن العاص، أو مجاهد، أو عكرمة، أو سعيد بن جبير وغيرهم، ولكنها ليست متلقاة عن النبي ﷺ لا بالذات ولا بالواسطة، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا، فثبتوها إلى من رويت عنه، وكونها مكذوبة في نفسها أو باطلة أو خرافة شيء آخر.

ومثال ذلك طبعا الآراء والمذاهب الفاسدة اليوم؛ فهي ثابتة عن أصحابها ومن آرائهم-ولا شك-أنها في نفسها فكرة باطلة أو فاسدة، فكل هذه الأشياء لابد أن ننتبه إليها من خطر الإسرائيليات الموضوعات في ديننا.

المبحث الثاني :

تلون كتب التفاسير بثقافة مؤلفيها

إن الكتب التي يغلب عليها التأويل والتفسير الاجتهادي تكون لعلماء برعوا في بعض العلوم وبرزوا فيها، ومنهم من هو من أهل السنة والجماعة، ومنهم من هو من أهل الزيغ والابتداع، فصار كل منهم يميل في تفسيره إلى إبراز ما برع فيه؛ فالنحويون همهم الأوحد هو الإعراب، وذكر الأوجه المحتملة في الآية، نقل قواعد النحو و خلافاته كأن كتب التفسير مجال للتمرين النحوي واستذكار القواعد، وذلك كالزجاج، و الواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر المحيط، والإخباريون ليس لهم هم إلا ذكر القصص واستيفائها، وعمن مضى من الأنبياء والأمم والملوك، وذكر ما يتعلق بالفتن والملاحم وأحوال الآخرة ، ولا عليه بعد هذا إن كانت صحيحة أو باطلة لأنه لم يتحر الصدق ولم يبحث عن الرواة وكونهم ثقاة أو غير ثقاة وذلك كما فعل الثعلبي في تفسيره فقد حشاه بالكثير من القصص الإسرائيلية والقصص الموضوعة، وكذلك الفقيه يكاد يسرد مسائل الفقه جميعاً، وكثيراً ما يستطرد إلى إقامة الأدلة وبيان منشأ الخلاف، إلى غير ذلك مما لا علاقة له بالآية، و الأدهى من ذلك أنه يفيض في أدلة مذهبه والميل بالآية إليه ومحاولة إضعاف مذهب غيره، كما فعل الإمام القرطبي في تفسيره؛ فإن ما فيه من التفسير أقل مما فيه من الأحكام الفقهية ولاسيما على مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك-رحمه الله تعالى، وكذلك صاحب العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحكماء، والفلاسفة وشبههم والرد

عليهم، ويخرج من شيء إلى شيء ويستطرد حتى ينسى الإنسان أنه يقرأ في كتب التفسير ،ويخيل إليه أنه يقرأ كتاباً من كتب الكلام والملل والنِحَل كما صنع الإمام الجليل فخر الدين الرازي؛ ولذلك قال أبو حيان في البحر المحيط: "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولهذا قال العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير"، و للحق فإن تفسير الرازي لو كان اقتصر على التفسير و اقتصد في سرد أقوال الفلاسفة والمتكلمين لكان أولى وأجمل.

ومن العلماء المتأخرين المحققين من أكثر من الاستطراد، وذكر أدلة الموافق والمخالف في كل مسألة من المسائل ، وقد يسر له هذا تأخره الزمني وسعة إطلاعه على أقوال من سبقوه ومؤلفاتهم، حتى أنه ليذكر في بعض الموضوعات والمسائل ما يصل إلى حجم رسالة صغيرة؛ ومن ثم جاء كتابه شاملاً وخلاصة كلام كل من سبقوه في التفسير، أو إن شئت فقل معلمة للتفسير وغيره وذلك كما صنع الإمام الجليل الألوسي في تفسيره العظيم المسمى الإتقان.

المبحث الثالث

تفسيرات المبتدعة والباطنية والملحدة

وأصحاب المذاهب المبتدعة كالشيعة والمعتزلة وأمثالهم قد نحوا بالتفسير ناحية مذاهبهم، وفي سبيل ذلك حرفوا بعض الآيات وخرجوا بها عن معانيها المرادة وعن وقواعد اللغة وأصول الشريعة وصار الواحد منهم كلما لاحت له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً

له فيه أدنى مجال لإظهار بدعته وترجيح مذهبه سارع إليه ومن هذه التفاسير تفاسير عظيمة خدمت القرآن خدمات جليلة وذلك كتفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ولولا ما فيه من آراء اعتزالية لكان أجل تفسير في بابه، قال الإمام البلقيني:" استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش في قول الله تعالى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}[7] قال الزمخشري: "وأي فوز أعظم من دخول الجنة"، مشيراً بذلك إلى عدم رؤية الله عز وجل في الآخرة الذي هو مذهبه[8].

ومنها تفاسير ضالة مبطلة كتفاسير الباطنية و الروافض، و بعض المتصوفة والملحدين؛ فقد ألحدوا في آيات الله، وحرفوا الكلم عن مواضعه، خالفوا القواعد اللغوية والشرعية، وافتروا على الله ما لم يأتِ في كتابه، {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}[9].

ومن تفسيرات الباطنية:

قولهم في قول الله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ}[10] أن الإمام علياً رضي الله عنه ورث النبي ﷺ في علمه ويقولون الكعبة هي النبي ﷺ والباب هو علي بن أبي طالب إلى غير ذلك من الأباطيل.

[7] آل عمران 185
[8] مذهب المعتزلة أنهم ينكرون رؤية الله عز وجل في الآخرة
[9] النحل 105
[10] النمل 16

و قولهم في قول الله تعالى:

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} [11] أن المراد علي و فاطمة، وقوله تعالى:

{اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [12] أن المراد الحسن والحسن.

وقولهم في قوله تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} [13]: قالوا أنها عائشة رضي الله عنها، والعياذ بالله[قاتلهم الله، أين كانت عائشة رضي الله عنها من قوم سيدنا موسى عليه السلام] .

ومن تفسيرات الملاحدة :

قولهم في قول الله تعالىعلى لسان الخليل إبراهيم {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} أنه كان له صديق وصفه بأنه قلبه، وقوله تعالى: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [14] إنه الحب والعشق إلى غير ذلك من التخاريف و التحريف في فهم القرآن الكريم.

ومن تحريفات بعض المتصوفة:

قولهم في كلام الله تعالى: قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [15]: أي أن معناه[من ذل]-من الذل- فيه إشارة إلى النفس، وقال يش من الشفا جواب من الوع أمر من الوعي .. وكله تحريف

[11] الرحمن 19
[12] الرحمن 22
[13] البقرة67
[14] البقرة286
[15] البقرة255

وقد سئل الإمام سراج الدين البلقيني عمن قال هذا فأفتى بأنه ملحد، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} [16] وقد قال بن عباس رضي الله عنه عن الإلحاد:"هو أن يوضع الكلام على غير موضعه" [17] .

وبحسبنا هذا القدر في هذا المقام، فكل ما سبق هو تحريف لآيات القرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل بلسان عربي مبين، وصرف له عن ظاهره المراد لغة وشرعاً، وهؤلاء أضر على الإسلام من أعدائه ، والعدو المستتر بالتشيع والتصوف ونحوه أشر من العدو المكاشف المستعلم، وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الفئات الضالة المضلة المحرفة لكتاب الله عز وجل، فقال:"إن في أمتي أقواماً يقرأون القرآن ينثرونه نثر الدقل[18] لا يجاوز تراقيهم" [19] وقد حاول هؤلاء أن يؤيدوا آراءهم ومذاهبهم فافتروا على النبي ﷺ وصحابته الأطهار، فمن ثم دخل في تفسيره من المرويات الباطلة الشيء الكثير .

المبحث الرابع:

المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم

على من يفسر كتاب الله تعالى أن يبحث عن تفسيره في القرآن فإن لم يجد فليطلبه فيما صح وثبت في السنة، فإن لم يجد فليطلبه في أقوال الصحابة وليتحاشَ الضعيف، و الموضوع والإسرائيليات، فإن لم

---

[16] فصلت40
[17] كتاب الإتقان ص 184 المجلد الثاني
[18] الدقل: التمر الرديء اليابس
[19] سنن الترمذي

يجد في أقوال الصحابة فليطليه في أقوال التابعين، إن اتفقوا على شيء كان هذا دليل على أنهم قد تلقوه في الغالب عن الصحابة، وإن اختلفوا في أقوالهم ورجح ما يشهد له الدليل، فإن لم يجد في أقوالهم ما يصلح أن يكون تفسيرا للآية لكونه ضعيفاً أو موضوع أو من الإسرائيليات التي حملوها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، فليجتهد رأيه ولا يألو-أي يقصر-إن استكمل أدوات هذا الاجتهاد وشروطه، وعليه أن يراعي المطالب الآتية:

- المطلب الأول:

أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسِر للمفسَر، وأن يحترس في ذلك عن نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، أو زيادة لا تليق بالغرض أي لا يوجز فيخل ولا يطيل ويستطرد فيُمِل.

- المطلب الثاني:

أن يعني بأسباب النزول فإن أسباب النزول كثيرا ما تعين على فهم المراد من الآية، فمثلا في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً}[20] معناها أن اليهود فضلوا الوثنية على دين التوحيد، فكان ذلك خيانة منهم للأمانة التي أخذها الله عليهم بأن يقولا الحق ولا يجحدوا واستحقوا بهذا التوبيخ والوعيد، فناسب بعد هذا أن يذكر بالأمانة العامة: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}[21]

[20] النساء 51
[21] النساء 58

- المطلب الثالث:

أن يعنى بذكر المناسبات بين الآيات؛ لأن في ذلك الإفصاح عن خصوصية من خصوصيات القرآن الكريم وهي الإعجاز، وللمناسبات في الكشف عن أسرار الإعجاز ضلع كبير، وقد اختلفت مناهج المفسرين في هذين الأخيرين، فمنهم من يذكر المناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة عليه، وبعضهم يذكر السبب أولا لأن السبب مقدم على المسبب، والتحقيق بالتفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقف على سبب نزول الآية كآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، فهذا ينبغي فيه تقديم السبب على المناسبة؛ لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل عل المقاصد، وإن لم يتوقف وجه المناسبة على ذلك، فالأولى تقديم المناسبة على سبب النزول لبيان تألف نظم القرآن وتناسقه وأخذ آياته بعضها ببعض.

- المطلب الرابع:

لابد للمفسر أن يجرد نفسه من الميل لمذهب بعينه؛ حتى لا يحمله ذلك على تفسير القرآن بحسب رأيه، فإنه لا مذهبية في الإسلام، ولا يزيد في القرآن على ومنهجه الواضح وطريقه المستقيم.

- المطلب الخامس:

مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي؛ حتى لا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازي إلا بصارف، وليقدم الحقيقة الشرعية على اللغوية، وكذلك الحقيقة العرفية وليراعي حمل كلام الله على معانٍ جديدة أولى من حمله على التأكيد، وليراعي الفروق الدقيقة بين الألفاظ.

- المطلب السادس:

مراعاة تأليف لكلام والغرض الذي سيق له؛ فإن ذلك يعينه على فهم المعنى المراد وإصابة الصواب، قال الزركشي في كتاب البرهان:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز".

- المطلب السابع:

يجب على المفسر البداءة بما يتعلق بالمفردات وتحقيق معانيها، ثم يتكلم عليها بحسب الترتيب؛ فيبدأ بالإعراب إن كان خفياً، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم ليبين المعنى المراد، ثم ليستنبط من الآيات والآداب وليراعي القصد فيما يذكر من نحويات أو بلاغيات أو أحكام حتى لا يطغى ذلك على جوهر التفسير.

- المطلب الثامن:

التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة،

والروايات المدسوسة من الإسرائيليات ونحوها؛ حتى لا يقع فيما وقع فيه الكثير من المفسرين السابقين من الموضوعات والإسرائيليات في أسباب النزول، وقصص الأنبياء والسابقين، وبدء الخلق، والمعاد ونحوها.

من هنا يتبين لنا ما المقصود من هذا البحث بالنسبة لأمور لابد أن يقوم بها المفسر وأمور يجب عليه أن يبتعد عنها.

الفصل الثاني

المبحث الأول:

كتب التفسير بالمأثور

المبحث الثاني:

أهم كتب التفسير بالمأثور

- **المطلب الأول: ترجمة ابن كثير رحمه الله**
- **المطلب الثاني: منهج بن كثير في التفسير وخصائصه**

المبحث الثالث:

أمثلة من الإسرائيليات في كتب التفسير ورد بن كثير عليها وتفنيده لها

- **المطلب الأول: الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام**
- **المسألة الأولى:**

الإسرائيليات في قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}

- **المسألة الثانية:**

الفرية على المعصوم عليه السلام في قوله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ


أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}

- **المسألة الثالثة:**

الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

- المطلب الثاني:الشبهات عن أدم وحواء

المسألة الأولى:

الحديث المرفوع والآثار الواردة في ذلك

المسألة الثانية:

التفسير الصحيح للآيتين

- المطلب الثالث: الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام
- المطلب الرابع: الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام

الفصل الثاني

المبحث الأول

كتب التفسير بالمأثور

- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن
- معالم التنزيل
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

المبحث الثاني:

أهم كتب التفسير بالمأثور

ومن أهم هذه الكتب هو كتاب: تفسير القرآن العظيم لابن كثير

- المطلب الأول:

ترجمة ابن كثير رحمه الله

هو: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الفقيه الشافعي

ولد حوالي سنة 700 هـ سمع من بن الشحنة و الآمدي، وبن عساكر، كما لازم الحافظ المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال، و صاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية، وفُتِنَ بحبه، وامتُحِنَ بسبب بن تيمية، وهو من أخلص تلاميذه، وأشدهم إتباعاً له في آرائه الفقهية والتفسيرية حتى كان يفتي برأيه في مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد،

وأوذي بسبب ذلك. قال فيه الحافظ الذهبي في المعجم المختص:" الإمام المفتي المحدث البارع فقيه متقن ومفسر، وله أسانيد مفيدة"، وقال فيه الحافظ بن عمر في الدرر الكامنة:" أنه كان من محدثي الفقهاء، وقال: صارت تصانيفه في البلد في حياته، وانتفع بها بعد وفاته".

ومن مؤلفاته القيمة: كتاب البداية والنهاية في التاريخ، وهو من أهم كتب التاريخ من جهة الرواية وتحقيق معاني المرويات في طبقات الشافعية، وشرع في شرح البخاري ولكنه لم يتمه، وبعد حياة حافلة بالعلم والتأليف-اللهم اجعلنا مثل هؤلاء العلماء المخلصين- توفي سنه 774هـ ، فرضي الله عنه وأرضاه.

- المطلب الثاني

منهج بن كثير في التفسير وخصائصه

إن تفسير بن كثير من أجل التفاسير، إن لم يكن من أعظمها؛ فقد جميع فيه بين التفسير والتأويل والرواية والدراية، مع العناية التامة بذكر الأسانيد و بيان صحيحها من ضعيفها وموضوعها، ونقد الرجال، والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات بالموضع الأول، وتفسير القرآن بالقرآن مع حسن البيان وعدم التعقيد والتشعيب في المسائل والاستطراد الكثير.

ومن خصائص هذا التفسير العظيم أنه يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات و الموضوعات في التفسير؛ فتارة يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الروايات الإسلامية ويبين أنها من الإسرائيليات المروية المكذوبة- وهذا ما يهمنا-، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها،

ويبين رأيه فيها، و قد تأثر في هذا بشيخه الإمام بن تيمية وزاد على ما ذكره كثيرا، وكل من جاء بعد بن كثير منن المفسرين ممن تنبه إلى الإسرائيليات و الموضوعات وحذر منها هم عالة على بن كثير في هذا، ومدينون له فيها بهذا الفضل، كالإمام الألوسي، والأستاذ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا-رحمهم الله، ولهذا الكتاب فضل كبير على كثير من العلماء في التنبيه على الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، وكان هذا الكتاب معتمدهم ومرجعهم الأول في هذا الباب ، وكان للإمام بن كثير ملكه راسخة في نقد المرويات و التنبيه على منشأ المرويات ومصدرها، وكيف تدسست إلى الرواية الإسلامية ، وقد تعقب بن جرير على جلالته و تقدمه في بعض الإسرائيليات و الموضوعات التي ذكرها في تفسيره، ولا عجيب في هذا فهو من مدرسة عرفت بحفظ الحديث، والعلم به رواية ودراية، و أصالة النقد أيضاً، والجمع بين المعقول والمنقول، وهي مدرسة الشيخ العلامة بن تيمية وتلاميذه، وبن القيم، والذهبي وبن كثير وأمثالهم-رحمهم الله جميعا وجازاهم على صنيعهم للإسلام خير الجزاء-وسبحان الله إذا نظرنا إلى تفسير بن كثير وتعقبه للإسرائيليات سنجد الكثير وهذا ما سنذكره في المباحث اللاحقة بإذن الله.

المبحث الثالث:

أمثلة من الإسرائيليات في كتب التفسير ورد بن كثير عليها وتفنيده لها

- المطلب الأول:

الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام

- المسألة الأولى:

الإسرائيليات في قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}[22]

ومن الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق عقلا ولا نقلا ما ذكر بن كثير في تفسيره، وصاحب الدر المنثور وغيرهما من المفسرين في هذه الآية فقد ذكروا في هم يوسف عليه الصلاة والسلام ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره لولا أن المقام مقام بيان وتحذير من الكذب على الله وعلى رسوله، وهو من أوجب الواجبات على أهل العلم.

فقد رووا عن بن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن هم يوسف عليه السلام وما بلغ ؟ قال: حل الهيمان-يعني السراويل- وجلس منها مجلس الخائن، فصيح به يا يوسف: لا تكن كطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش ، ورووا مثل هذا عن علي رضي الله عنه وعن مجاهد، وعن سعيد بن جبير.

ورووا أيضا في البرهان الذي رآه ولولاه لوقع في الفاحشة أنه نودي: أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء، وقيل: رأى صورة

[22] يوسف 24

أبيه يعقوب في الحائط، وقيل : في سقف الحجرة وانه رآه عاضاً على إبهامه ، وانه لم يتعظ بالنداء حتى رآه آباه في هذه الحال، بل أسرف واضعوا هذه الإسرائيليات بأنه حينما رأى صورة أباه عاضاً على إبهامه أن أباه قد ضربه ضربة أخرجت الشهوة من أنامله، وكل هذه افتراءات على نبي الله يوسف.

بل زعموا أيضاً في تفسير البرهان فيما روي عن ابن عباس أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله وهم:

"وان عليكم لحافظين كراما كاتبين"

"وما تكون في شأن"

"أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت"

"ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا"!!!

ومن البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل سيدنا محمد ﷺ فكيف رآها سيدنا يوسف، وإن كان من يفتري هذه الافتراءات لن يعدم جواباً بأن يقولوا: أنه قد رآه بالمعنى باللغة التي كان يعرفها يوسف.

بل قيل في البرهان انه رأى تمثال الملك العزيز-وقيل خياله-
وكل ذلك مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وأكاذيبهم التي كذبوا بها على الله وعلى الرسول وحَمَل ذلك إلى بعض الصحابة والتابعين كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما.

فإذا قرأنا في هذه الكتب للتفاسير لوجدنا اضطراب فاحش في الروايات، أليس الاضطراب الذي لا يمكن التوفيق بينه كهذا من العلل

التي رد المحدثون بسببها الكثير من المرويات لأن هذا أمارة على الكذب والاختلاق، والباطل لجلج وأما الحق فهو أبلج، ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف عليه السلام، وقول الحق تبارك وتعالى عقب ذكر الهم:{كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [23]

هل يستحق هذا الثناء من اتهموه بفعل ما اخترعوه، ولا أدري هل أصدق ما قاله الله تعالى، أم أصدق كذب بني إسرائيل وتحريفهم ، بل كيف يتفق ما روي وما حكاه الله عن زليخة بطلة المراودة حيث قالت :

{أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [24]، وهو اعتراف صحيح من البطلة التي أعيتها الحيل عن طريق التزين حيناً، والتودد إليه بمعسول القول حيناً آخر، والإرهاب والتخويف حيناً، فلم تفلح: {لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ} [25]،ولقد كان جواب الكريم بن الكريم بن الكريم ؛يوسف بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام قال:

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [26]

---

[23] يوسف 24
[24] يوسف 51
[25] يوسف 32
[26] يوسف 33،34

وعليه السلام حين قال:" وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ" أي انه تبرأ من الحول والطول وأن الحول والقوة إنما هما من الله ، فسأل الله واستعان به على صرف كيد النساء عنه، وهكذا شأن الأنبياء.

بل لقد شهد الشيطان نفسه ليوسف عليه السلام في ضمن ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن قوله {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[27] ويوسف بشهادة رب العالمين من المخلصين حيث قال سبحانه وتعالى: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} .

وكذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها [28]

{إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ{26} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ{27} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ{28}[29]

وفي نهاية التحقيق أسفر عن براءة يوسف وإدانة زليخا امرأة العزيز، فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة وتلك الروايات الملفقة،المزورة؟!

وقد ذكر الكثير من هذه الروايات بن جرير الطبري، و البغوي، والثعلبي، و السيوطي، وقد مر بها بن كثير بعد أن نقلها حاكياً من غير أن ينبه إلى زيفها وهو الناقد البصير.

---

[27] ص 82،83

[28] كان رجلا عاقلا حكيما مجربا من خاصة الملك وكان من أهلها، وقيل كان في المهد وكان ذلك إرهاصاً بين يدي يوسف إكراماً له

[29] يوسف

ومن العجيب أن الإمام بن جرير- على جلالة قدره- يحاول أن يضعف تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان.

وهذه المرويات الغثة المكذوبة التي يأباها النظم الكريم ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء هي التي اعتبرها الطبري ومن تبعه أقوال سلف.

التفسير الصحيح لقوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}

الكلام من قبيل التقديم والتأخير والتقدير ولولا أن رأي برهان ربه لهم بها، فقوله تعالى: "وهم بها" جواب لولا مقدم، ومعروف في العربية أن لولا حرف الامتناع لوجود أي امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فيكون الهم ممتنع لوجود البرهان الذي ذكره الله في فطرته، والمقدم إما الجواب أو دليله على الخلاف في هذا بين النحويين، والمراد بالبرهان هو حجة الله الظاهرة الدالة على قبح الزنى، وهو شيء مركوز في فِطر الأنبياء، ومعرفة ذلك عندهم وصلت إلى عين اليقين؛ وهو ما نعبر عنه بلفظ آخر وهو" العصمة "؛ وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم في المعصية ويرحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق-رضي الله عنهما-حيث قال: "البرهان: هو النبوة التي أودعها الله في صدره وقد حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل".

وهذا القول هو الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه السابق واللاحق ، وقيل أن ما حصل من هم يوسف كان

خطرة وحديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، ولم يستقر ولم يظهر له أثر، قال البغوي في تفسيره:" قال بعض أهل الحقائق: الهم همان؛ هم ثابت : وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به، وهم عارض: وهو الخطرة وحديث النفس بغير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل.

وقيل: همت به: هم شهوة وقصد الفاحشة،وهم هو بضربها ولا أدري كيف يتفق هذا القول وقوله تعالى: {لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ}

أما القول الجزل الفحل هو ما ذكرناه، والسر في إظهاره في هذا الأسلوب، والله أعلم، وهذا فيه تكريم ليوسف عليه السلام وشهادة ليوسف بالعفة البالغة والطهارة الفائقة.

المسألة الثانية:

الفرية على المعصوم عليه السلام في قوله تعالى:



ولكي يؤيدوا باطلهم الذي ذكرناه آنفاً رووا عن الصحابة والتابعين مالا يليق بمقام الأنبياء، واختلقوا على النبي ﷺ زوراً، وقوّلوه ما لم يقل، قال صاحب الدر:"وأخرج الفريابي وابن جرير و ابن المنذر، وابن أبي حاتم،وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن بن عباس رضي الله

عنهما قال: لما جمع الملك النسوة قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟، قلن: {حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}[30] قال يوسف {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} فغمزه جبريل عليه السلام وقال: ولاحين هممت بها فقال: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}[31]

قال وأخرج بن جرير عن مجاهد وقتادة والضحاك والسدي وأخرج الحاكم في تاريخه وبن مردويه و الديلمي عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قرأ هذه الآية {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}

قال: لما قال يوسف ذلك، قال له جبريل عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به، قال{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}

وأخرج بن جرير عن عكرمة مثله ،وقال {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}، فقال جبريل:" ولا حين حللت السراويل"، إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة، والإسرائيليات الباطلة، التي خرجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات، وجمع اكبر قدر منها كحاطب ليل يأتون الغث بالثمين وغيره.

القرآن يرد هذه الأكاذيب وسنجيب عنها من القرآن

هؤلاء الكاذبين فاتهم قول الله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ}

---
[30] يوسف51،52
[31] يوسف53

ليس من مقالة يوسف بل هو قول امرأة العزيز وهو ما يتفق وسياق الآية؛ فإن العزيز لما أرسل رسوله لإحضار يوسف من السجن قال له: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ}[32] فأحضرهن وسألهن فشهدن ببراءة يوسف، فلم تجد امرأة العزيز بداً من الاعتراف فقالت: {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ{51} ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ{52} وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}

فكل هذا من قولها، ولم يكن يوسف حاضراً بل كان في السجن؛ فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقد له من قِبَل العزيز.

وقد انتصر لهذا الرأي الذي يلائم السياق: الإمام بن تيمية وألف في ذلك وألّف في ذلك تصنيفاً على حده.

قال الإمام الحافظ المفسر بن كثير في تفسيره: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} تقول إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، و إنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع، ولهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته، لأن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربي: أي إلا من عصم الله تعالى إن ربي غفور رحيم وهذا القول هو الأنسب والأشهر والأليق لمعاني الكلام وسياق القصة، وهذا الذي حكاه بن كثير، وقد حكاه

[32] يوسف 50

الموردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام بن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة.

المسألة الثالثة:

الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

ومن هذه الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين في مدة سجن يوسف عليه السلام، وسبب لبثه في السجن بضع سنين

قوله تعالى : {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}[33]

فقد ذكر بن جرير والثعلبي و البغوي وغيرهم أقوال كثيرة في هذا فقد قال وهب بن منبه:

أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وترك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين، وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك،قيل له يا يوسف: اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف وقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة ولن أعود.

وقال الحسن البصري : دخل جبريل عليه السلام على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له يا أخا المنذرين إني أراك بين الخاطئين، فقال له جبريل يا طاهر يا بن الطاهرين: يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحيت مني أن استشفعت بالآدميين؟

---

[33] يوسف42

فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: وهو بذلك عني راضٍ؟ قال: نعم، قال: إذا لا أبالي.

وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف أن الله تعالى يقول : من خلق؟ قال: الله، قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من قلب البئر؟ قال الله، قال:علمك تأويل الرؤيا ، قال: الله، قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: الله، قال كيف استشفعت بآدمي مثلك؟ [34]، فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي:" وهذه سبع سوى الخمس".

وأغلب الظن أن هذه من الإسرائيليات؛ فقد صورت أن السجن عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها يوسف، مع أن يوسف عليه السلام لم يقل منكراً، فالأخذ في أسباب النجاة العادية وإظهار البراءة والحق لا ينافي قط التوكل على الله، وإن الابتلاء للأنبياء ليس بعقوبة؛ وإنما هو لرفع الدرجات وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم، قال ﷺ: " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " [35]، وقد روى بن جرير ها هنا حديثاً مرفوعاً فقال: حدثنا بن وكيع قال حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن بن عباس مرفوعاً قال: قال ﷺ: لو لم يقل -يعني- يوسف الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله"، فإن كان هذا الحديث صحيح أو حسن لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان، ولكن الحديث شديد الضعف، لا يجوز الاحتجاج به.

---

[34] تفسير البغوي المجلد الرابع ص 444، 445

[35] حسن صحيح

قال الإمام الحافظ الناقد بن كثير-وهذا ما يعنينا في هذا البحث قول بن كثير ورده وتفنيده لهذه الإسرائيليات التي قالها عنا اليهود الأحياء منهم والأموات: وهذا الحديث ضعيف جداً لا يحتج به في الأحكام والفضائل فما بالك في مثل هذا لأن سفيان بن وكيع الراوي عنه بن جرير ضعيف، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه، و قد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات هنا لا تقبل ، ولو قبل المرسل في غير هذا الموطن والله أعلم.

وقد تكلف بعض المفسرين للإجابة عما يدل عليه هذا الحديث وحاله كما علمت، بل تكلف بعضهم فجعل الضمير فيه فأنساه ليوسف وهو غير صحيح، والذي يجب أن نعتقده هو أن يوسف عليه الصلاة والسلام مكث في السجن-كما قال الله تعالى-بضع سنين، و البضع من 3-9 أو إلى 10 من غير تحديد للمدة.

فجائز أن تكون 7، أو 9أو 5، مادام أنه ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم ﷺ نعتقد أنه لم يكن عقوبة على كلمة، بل هو بلاء ورفعة درجة ثم كيف يتفق هذا الحديث الضعيف وما روي عن النبي ﷺ في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :" ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي [36] وفي لفظ الإمام احمد : لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر .

---

[36] صحيح البخاري ومسلم

- **المطلب الثاني:**

الشبهات عن أدم وحواء

هي من الإسرائيليات التي لا تصح، وما ذكره بعض المفسرين عن قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {189} فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {190}[37]

هذه الآية تعتبر من أشكل آيات القرآن الكريم؛ لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم وحواء، وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين بأن النفس الواحدة هي نفس أدم، وخلق منها زوجها أي حواء، وهذا التأويل لا يتفق مع عدم جواز نسبة الشرك إلى الأنبياء لأنهم معصومون.

المسألة الأولى:

الحديث المرفوع والآثار الواردة في ذلك

ما ورد من الحديث المرفوع وما ورد من الصحابة وبعض التابعين في قوله: جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {190} اغتر

---

[37] الأعراف

بهذه الروايات الكثير من المفسرين، كابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية، والثعلبي، و البغوي، على هامش تفسير بن كثير المجلد الثالث ص 611،612 وكذلك القرطبي المجلد السابع ص 338،339 وإن كان ضعف الروايات ولم تركن نفسه إليها واعتبرها من الإسرائيليات، وكذلك صاحب الدر المنثور-السيوطي- والعجيب أن إماماً كبيراً له في رد الإسرائيليات و الموضوعات فضل غير منكر-الإمام الألوسي- قد انخدع بمثل هذه الروايات، قال:" وهذه الآية عندي من المشكلات والعلماء لهم فيها كلام طويل ونزاع عريض" أخرج بن جرير عن الحبر أن الآية نزلت في تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد الحارث ومثل ذلك لا يكاد يقال، وهو ظاهر في كون الخبر تفسيراً للآية، يعني:

أن الشيطان أتى لحواء وقال لها: لا تسميه عبد الله و سميه عبد الحارث حتى لا يموت الولد، وهذه كلها تفسيرات ليس لها أساس من الصحة، وقالوا أيضاً أن الشيطان قد خدعهما مرتين –مرة في الجنة ومرة في الأرض [38]

ولكن فارس الحلبة-الإمام بن كثير- فند تفنيداً علمياً فنقد المرويات نقد علمي أصيل على مناهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة وبيّن أصل هذه المرويات وأن مرجعها إلى الإسرائيليات، والغريب أن الإمام العلامة الألوسي لم يشر إلى كلامه فلعله لم يطلع عليه.

وسنذكر هنا كلام الإمام بن كثير رغم طوله؛ لنفاسته وشدة الحاجة إليه في هذا المقام، قال-رحمه الله وأثابه خيراً على ما ذكر:

---

[38] تفسير القرطبي المجلد السابع ص 338

يذكر المفسرون هاهنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها, ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة, قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد: حدثنا عمر بن إبراهيم, حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال «لما ولدت حواء طاف بها إبليس, وكان لا يعيش لها ولد, فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش, فسمته عبد الحارث فعاش, وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» [39] وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به, ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به, وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم, ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه, ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعاً, ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد, ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً.

وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً, قلت: وشاذ هو هلال, وشاذ لقبه, والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه [أحدها] أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين, ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به, ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً, فالله أعلم. [الثاني] أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً, كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد

[39] ضعّف هذا الحديث الإمام الألباني

الأعلى, حدثنا المعتمر عن أبيه, حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث. [الثالث] أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا, فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن {جعلا له شركاء فيما آتاهما} قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى, حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني {جعلا له شركاء فيما آتاهما}.

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك, وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية, ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولاسيما مع تقواه لله وورعه, فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي, ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما, كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع, والله أعلم.

فأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك, فيصيبهم الموت, فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش, قال: فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث, ففيه أنزل الله يقول

{هو الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى قوله - جعلا له شركاء فيما آتاهما} إلى آخر الآية, وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم {هو الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى قوله - فمرت به} شكت أحملت أم لا ؟ {فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين} فأتاهما الشيطان... كما ذكرنا من قبل

وقال عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما} قال: قال الله تعالى: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها} آدم {حملت} فأتاهما إبليس لعنه الله فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إبل فيخرج من بطنك فيشقه.

وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب, وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» [40] ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام, فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله, ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً, ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته.

[40] حديث صحيح

المسألة الثانية:

التفسير الصحيح للآيتين:

المحققون من المفسرين منهم من نحا نحو العلامة بن كثير وجعل قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً الآية في المشركين وذرياتهم، جَعَلَا أولادهما لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا المراد هنا جنس -أي جنس الذكر والأنثى- فمن ثم حسن قوله: فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظاً المفصول معناً. ومنهم من جعل الآية في آدم وحواء : نفس واحدة، وهي الذكر وجعل منها زوجها: الأنثى، فلما آتاهما صالحاً أي بشرا سوياً كاملاً، جعلا له شركاء فيما آتاهما: وذلك من الزوجين الكافرين وليسا آدم وحواء، وذلك بأنهما أبدلا شكر الله نكراناً وجحوداً، ولهذا لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآيتين ، وهناك تفاسير أخرى لست مطمئن لها[41].

- المطلب الثالث:

الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام

ومن الإسرائيليات التي تنافي عصمة الأنبياء، ما ورد من إسرائيليات عند تفسير الآيات من قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ{21} إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ

[41] أنظر تفاسير الكشّاف، و القرطبي، و أبو السعود، و الألوسي

خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ{22} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ{23} قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ{24} فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ{25}[42]

ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، و البغوي، و السيوطي في الدر المنثور المجلد الخامس ص 302 من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق لا عقل ولا نقل عن ابن عباس-رضي الله عنهما-ومجاهد، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، وغيرهم قالوا: إن داوود عليه السلام حدث نفسه إن ابتُلِي أن يعتصم، قيل له انك ستبتلي وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك، فقيل له هذا اليوم الذي ستبتلى فيه، فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق الباب وأقعد الخادم على الباب، وقال للخادم لا تدع أحداً يدخل، وبينما هو يقرأ إذ دخل طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقف على كوة المحراب، فدنا منه

---

[42] ص 21-25

ليأخذه فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها فغطت جسدها به، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: إن اجعلوا زوجها في حملة التابوت-أي في مقدمة الجيش-فهؤلاء إما أن يفتح الله عليهم فيغلبوا وإما أن يقتلوا، فقتل الرجل، فلما انقضت عدتها خطبها داود وتزوجها، فتسور عليه الملكان وكان ما كان مما حكاه الله تعالى، وهذا مرفوع عن النبيﷺ-وهذا لا مرفوع عنه ولا شيء حاشا لله- وقال صاحب الدر المنثور فيما رواه عن ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺيقول:" إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت"

وهناك من الإسرائيليات الكثير من الكلام الذي لا يصدق على نبي من أنبياء الله؛ داود عليه السلام الذي كان يجاهد في سبيل الله، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فهذا الكلام المكذوب لا يمكن تصديقه أبداً

وقد قال بن كثير: "قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة".[43]

ومن ثم يتبين لنا كذب رفع هذه الروايات المنكرة عن الرسول، ولا نكاد نصدق صدور هذا الكلام من المعصومﷺ، وإنما هي اختلافات وأكاذيب

[43] بن كثير المجلد السابع ص 189

أهل الكتاب، وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء بصدور مثل هذه الأفعال عن داود عليه السلام؟، ثم يكون على لسان من؟، على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء- النبي ﷺ المعصوم- الذي لا يتكلم بما لا يليق عن عصمتهم، والاسترسال فيه، إن ما حدث لو صدر عن فرد من عوام الناس لاستقبحه الرسول ﷺ، فكيف إذاً لو صدر عن نبي من أنبياء الله عز وجل، ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود عليه السلام و لنفرّت منه الناس، و لكان لهم العذر في عدم الإئتمام به، ولا تم المقصد الذي من أجله أرسلت الرسل، فكيف يكون على هذه الحال من قال عنه الله عز وجل: وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ.

قال بن كثير في تفسيرها: "فإن له يوم القيامة قربى يقربه الله بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة؛ لنبوته وعدالته في ملكه".

ولكي يستقيم هذا الباطل قالوا أن المراد بالنعجة هي المرأه وأن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة، ورووا أن الملكين لما سمعا حكم داوود وقضاؤه بظلم صاحب التسع وتسعون نعجة قالا له: وما جزاء من فعل ذلك، فأشار يقطع هذا وأشار إلى عنقه، وفي رواية يضرب من ها هنا وهاهنا وهاهنا، وأشار إلى جبهته وأنفه وما تحتها، فضحكا وقالا أنت أحق بذلك منه، ثم صعدا ، وذكر البغوي في تفسيره وغيره عن وهب بن منبه أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين عاماً، لا يقف دمعه لا ليلاً ولا نهاراً، وكان قد أصاب الخطيئة وعمره

77 عاماً، وما أحسن ما قاله الإمام القاضي عياض:" لا تلتفت لما قاله الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في الكتاب".

التفسير الصحيح للآية

وإذا كان ما روي من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذاً؟ الجواب:

أن داود عليه السلام كان قد قسم مهام أعماله ومسئولياته نحو نفسه ونحو الرعية على الأيام، وخص كل يوم لعمل، فخصص يوماً للعبادة ويوماً للقضاء وفصل الخصومات، ويوماً لاشتغاله بشئون نفسه وأهله، ويوما لوعظ بني إسرائيل، فبيوم العبادة وهو مشتغل بعبادة ربه إذ دخل عليه الخصمان تسورا عليه السور ولم يدخلا من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، وفزع منهما فزعاً لا يليق بعباد الله المؤمنين فضلاً عن كونه من الأنبياء المتوكلين على الله حق توكله وواثقين من حفظه ورعايته، ومثل الأنبياء لا يليق أن يظنوا الظن الشيء بالعباد، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذماً في العادة ولكنه ظن أنهما قد جاءا ليبغيا عليه أو يريدا منه شراً، ولكن الأمر كان خلاف ذلك وكانا خصمان أرادا أن يتحاكما إليه، فلما قضى بينهما، وتبين لهما أنهما بريئان من الظن استغفر ربه وخر ساجداً، قال تعالى هذا في الآيات الكريمة.

وهذا في عرف الأنبياء يعتبر خلاف الأولى، وقديماً قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين فالرجلان خصمان حقيقة وليسا ملكين كما زعموا، والنعاج على حقيقتها، وليست ثمة رموز ولا إشارات، وهذا التأويل يوافق نظم القرآن العظيم، وعصمة الأنبياء فالواجب الأخذ به

ونبذ الخرافة والأباطيل التي زعمها بنو إسرائيل وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم لهم.

❋ وقيل أن الذي صنعه داود أنه خطب على خطبة أوريا فآثره أهلها عليه، وقد كانت الخطبة على الخطبة حرام في شريعتهم كما هي حرام في شريعتنا.

❋ وقيل أنه طلب من زوج أوريا أن ينزل له عنها، وقد كان هذا في شريعتهم ومستساغاً عندهم.

❋ وقيل أنه أوخذ لأنه حكم بمجرد سماعه لأحد كلام الخصمين، وكان عليه أن يسمع لكلام الآخر، وقد قيل :" إذا جاءك أحد الخصمين وقد فقأت عينه فلا تحكم له لجواز أن يكون خصمه قد فقئت عينيه الإثنتين".

وإن كنت عن نفسي لا أستريح لهذه الأقاويل أيضاً؛ لأنها تخدش عصمة الأنبياء ولو من بعيد، وهذه الأفعال لا تليق بالصفوة المختارة من قبل الله عز وجل لأنبيائه الكرام، فالوجه الجدير بالقبول هو الأول، فعض عليه واشدد به يديك [دخولهما بغير استئذان عليه فظن أنهما أرادا به شرا].

- المطلب الرابع

الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام

هناك الكثير من الإسرائيليات مثل التي ذكرت عن سليمان، يأجوج و مأجوج، وغيرهم ولكننا سنعطي بعض الأمثلة الآن عن الإسرائيليات

التي وردت في كتب التفسير عن نبي الله أيوب عليه السلام فقد رووا فيها ما عصم الله منه الأنبياء وصوروه بصورة لا يرضاها الله عز وجل، فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ{41} ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ{42} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ{43} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ{44}[44]

ذكر السيوطي في الدر المنثور وغيره عن قتادة في تفسير قوله تعالى: أن الابتلاء كان في ذهاب الأهل والمال، و الضر الذي أصابه في جسده أنه قد ابتلي 7 سنين وأشهر فألقي على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن، قال:" وأخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وبن عساكر عن ابن عباس أن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب، قال الله: فلقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده، فنزل وجمع جنوده وقال لهم قد سلطتوا على أيوب فأروني سلطانكم؛ فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماءً، فبينما هم بالمشرق فإذا هم بالمغرب, وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق, فأرسل طائفة منهم إلى زرعه وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض؛ فجاء صاحب الزرع وقال: يا أيوب ألم تر

---

[44] ص 41-44

إلى ربك قد أرسل على زرعك العدو فذهب به، وجاء صاحب الإبل وقال: ألم تر إلى ربك قد أرسل إلى إبلك العدو فذهب بها، ثم جاء صاحب البقر فقال ألم تر إلى ربك قد أرسل على بقرك العدو فذهب بها، وتفرد هو ببنيه وجمعهم في بيت كبيرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فجعلته عليهم، فجاء الشيطان في صورة غلام وقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم، فقال أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه، وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء فقال: أي ربي إنه قد اعتصم فسلطني عليه فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، فقال: قد سلطتك على جسده...

إن هذه القصة بطولها مذكورة في الدر المنثور، وهذا مما لا شك فيه كلام مكذوب مختلق.

وقد ذكر بن جرير وابن أبي حاتم كثير من الروايات في تفسيرهما منها ما هو موقوف وما هو مرفوع إلى النبيﷺ، في تفسير قوله تعالى:

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ {84}[45]

[45] الأنبياء84،83

الكثير من الإسرائيليات في قصة أيوب وبلائه كانت عن وهب بن منبه، في بضع صحائف، وقد التبس فيها أهل الحق بالباطل، والصدق بالكذب.
وقال بن كثير : "وقد روي عن وهب بن منبه في خبره -يعني أيوب- قصة طويلة ساقها بن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابه تركناها لحال الطول".
ولكن من العجيب أن العلامة بن كثير قد وقع فيما وقع فيه غيره من ذكر الإسرائيليات ولم يعقب عليها، رغم أن عهدنا به أنه لا يذكر شيء من ذلك إلا وينبه على مصدره وكيف دخل للرواية الإسلامية، وقيل أنه أصيب بالجذام في بدنه، ولم يبق منه شيء سليم سوى القلب واللسان، وقيل أن الدودة كانت تقع من على جسمه فيقول لها: تعالي كلي هذا رزق الله إليكِ، وأنه وقع على مزابل بني إسرائيل، بالطبع كل هذا كلام لا يليق بالأنبياء.
الحق في هذه القصة: أن كتاب الله صادق، نعم ابتلى الله عز وجل أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله وولده، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ فالبلاء مما لا يجوز فيه شك أبدا، والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، فلا يزيد في القصة -كما زود الزنادقة من أهل الكتاب- ويلصق بالأنبياء ما لا يليق بهم، وهذا ليس بعجيب من

بني إسرائيل، فإن بني إسرائيل قد تجرأوا على الله سبحانه وتعالى: {قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء }[46] ، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ يد الله مغلوله}[47] .

فهل يليق بنبي أن يصاب جسمه بالجذام, والنبي أكرم على الله بأنه يلقى على مزبلة، فكيف يكون نبيا لله عز وجل وكيف يكون مقزز للناس ، و الحق أن نسيج القصة مهلهل أمام النقاد ولا يثبت ولا يؤيده عقل سليم ولا نقل صحيح، وأن المرض لا يكون من النوع المقزز، ممكن أن يكون مرض لا يظهر على البشرة كأمراض العظام، أو الروماتيزم، والدليل على ذلك أن الله عز وجل لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه فنبعت منها عين فاغتسل منها وشرب فبرئ منها بإذن الله، وقيل أنه ضرب الأرض برجله، فانبعثت عين حارة فاغتسل منها، وضربها أخرى فنبعت عين باردة فشرب منها، وظاهر القرآن عدم التعدد في الضرب ولا في نبع الماء .

هذا والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

[46] آل عمران 181
[47] المائدة 64

خاتمة

كان هذا جهداً متواضعاً مني، حاولت فيه أن أبرئ ساحة أنبياء الله المعصومين مما نسب إليهم من أباطيل وخرافات، وأبرئ ساحة نبينا محمد ﷺ من رفع هذا الكلام إليه.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، إنه هو السميع العليم، وأن ينير أبصارنا وقلوبنا بنور الإيمان، وأن يعيننا على الذب عن شريعته الغراء، وأن يستعملنا ولا يستبدلنا.

قال رسول الله ﷺ: "..وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار "[48]

فلابد من التمسك بكتاب الله وبسنة رسوله وما ورد صحيحاً عنه وأن نتحرى عملية أخذ العلم ؛انظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإن هذا العلم دين، و أن نتحرى قراءة الكتب، وأخذ العلم عمن نعرف منهجه وعقيدته، وبإذن الله سيكون هناك جزء ثان من هذا البحث لأحاول أن أذكر بقية الإسرائيليات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم الشيخ/

سيد جمعة سلّام

[48] صحيح، رواه مسلم وغيره

المراجع التي اعتمد عليها الباحث

كتاب الله عز وجل

صحيح البخاري ومسلم

تفسير البغوي

تفسير بن كثير

الدر المنثور للسيوطي

تفسير بن جرير الطبري

تفسير الألوسي

تفسير القرطبي

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي



فهرس المحتويات


خطورة رفع الإسرائيليات
والموضوعات إلى الرسول ﷺ
في كتب التفسير
بقلم الشيخ/
سيد جمعة سلام